المحاضرة الخامسة

مقاومة وتنظيم دولة الأمير عبد القادر الجزائري

تعرض المخطط الاستعماري الفرنسي سنة 1830م إلى مقاومات شرسة من طرف زعماء وقادة الجزائر آنذاك، وكان ذلك ردا على الحركة الاستعمارية الفرنسية التوسعية، ومن أبرز هذه المقاومات مقاومة الأمير عبد القادر في الغرب الجزائري، ويعتبر هذا الأخير شخصية فذة وعريقة في تاريخ الجزائر ولد سنة 1807غرب مدينة معسكر، نشأ في محيط ديني وعلمي وثقافي، وعرف بشخصيته الدينية والوطنية، وكانت له خبرة عسكرية ودهاء سياسي.

- مبايعته:

وانقسمت مبايعة الأمير عبد القادر إلى مرحلتين : البيعة الأولى والبيعة الثانية.

* **البيعة الأولى:** بعد مغادرة واستسلام الداي حسين عرفت أوضاع الجزائر تدهورا كبيرا ما أدى بالأهالي للتفكير في من يزعمهم ويكون ممثلا لهم في ظل تسلط الاستعمار الفرنسي عليهم، وعندما بدأ الخطر يتفاقم فكر أهالي الإيالة الوهرانية وعلماؤها في الأمر وتناولوا الحديث حول الشخصية التي يسندون إليها أمور البلاد، ويبايعونها بالإمارة عليهم فكان في بداية الأمر الكلام مع الشيخ محي الدين والد الأمير عبد القادر على أن يكون هو الأمير، لكنه اختار ابنه مكانه، فانعقدت البيعة الأولى في 13رجب 1248هـ، 28 نوفمبر 1832م، تحت شجرة الدردارة الموجودة بوادي فروحة من غريس بمعسكر، ولقبه والده بعد أن بايعه" **ناصر الدين** "ثم بايعه الأقارب فالوجهاء والأعيان والعلماء والأسر، فبقي أفراد الشعب.(1)

* **البيعة الثانية:** لقد أدرك الأمير أن حب الوطن والغيرة عن الدين هو الأداة الوحيدة التي بها يستطيع توحيد جميع القبائل، ومن هنا وجه دعوة لاجتماع عام يقع في مدينة معسكر في ربيع 1833م، وقد رحب بالدعوى عدد كبير من القبائل الهامة في التل والصحراء(2)، وتوافدت جموع غفيرة على هذا الاجتماع المصيري من طرف الأعيان لمبايعة الأمير عبد القادر وبهذا جرت البيعة الثانية بتاريخ 13 رمضان 1248هـ الموافق ل 4فيفري 1833م.

وأصبح بذلك الأمير عبد القادر أمير البلاد وحاكمها بإرادة الشعب بعد مراسم البيعة الأولى والثانية فكانت سلطته عن طريق الشورى وليس الوراثة أو التعيين وكانت هذه البيعة الإنطلاقة الحقيقية للأمير في محاربة الاستعمار الفرنسي للجزائر وكانت نجاحات باهرة في عدة مستويات سياسية وعسكرية وثقافية.

– مقاومة الأمير عبد القادر للاحتلال الفرنسي:

انقسمت المقاومة الشعبية للأمير عبد القادر إلى ثلاثة أصناف هي كمايلي:

– **المقاومة السياسية:** بعد ما تمت المبايعة بدأ الأمير عبد القادر مباشرة في بناء معالم الدولة الجزائرية الجديثة فاتخد مدينة معسكر عاصمة له، وقام بإنشاء المجلس الشوري الأميري الذي يضم 11عضوا من أعيان الأمة وعلمائها وقسم الدولة إلى 8 مقاطعات يعين خلفاء للأميرعلى رأس كل مقاطعة وهذه المقاطعات هي معسكر، مليانة، تلمسان، معسكر، تيطري، الزيبان، ومقاطعة جبال القبائل الكبرى، بالإضافة إلى تعيين القضاة لتوفير العدل والمساواة بين السكان، أما الحكومة فقد قسمها إلى وزارات أساسية تمثلت في وزارة الداخية، والخارجية، والعدل ، وحرص الامير عبد القادر في حكمه على تطبيق مبادئ وتعاليم الدين الإسلامي وتحقيق العدل والمساواة، ووضع دعائم الدولة على أسس إسلامية مستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وفي نفس الوقت مستمدة شرعيتها من الشعب الجزائري.

– **المقاومة المسلحة:** يعتبر الأمير عبد القادر قائد المقاومة المسلحة ضد الاستعمار الفرنسي للجزائر عام 1830، حيث قامت فرنسا باحتلال الجزائر ما أدى إلى اندلاع مقاومة شعبية رافضة لهذا الاحتلال، والأمير عبد القادر صاحب الخامسة والعشرين سنة آنذاك أصبح قائدا لهذه المقاومة، وقد مرت هاته الأخيرة بعدة مراحل أهمها المعارك المبكرة والتي خاض خلالها عدة معارك ضد القوات الفرنسية مثل معركة" مليانة "ومعركة "سيدي ابراهيم"، ومن ثم مرحلة التكتيكات العسكرية والتي تميزت باعتماد الأمير عبد القادر على حرب العصابات وسياسة الكر والفر، مما جعل المقاومة فعالة لدرجة كبيرة رغم تفوق الجانب الفرنسي عدة وعتادا، وبعدها كانت مرحلة الهزائم حيث أنه رغم تحقيق مجموعة من الانتصارات خلال المقاومة إلا أنها بدأت بالتراجع مواجهة عدة صعوبات بسبب الاستنزاف العسكري والسياسي وكذا قلة الموارد والإمدادات.

ورغم استسلام الأمير عبد القادر سنة 1847 ونفيه من طرف السلطات الفرنسية إلا أن المقاومة التي قادها ضد المستعمر الفرنسي أعطت دفعة كبيرة في مسار حركة التحرير الوطني في الجزائر، كما أنه ترك أثرا عميقا في التاريخ الجزائري وأصبح رمزا من رموز المقاومة الشعبية.

– **المقاومة الثقافية** :المقاومة الثقافية للأمير عبد القادر تعتبر جزءا مهما من تاريخ الجزائر خلال فترة الاستعمار الفرنسي، فبالإضافة إلى الدور العسكري الذي قام به في المقاومة المسلحة عمل على إقامة ثورة ثقافية ضد الاستعمار وتتجلى مظاهر هذه المقاومة في عدة جوانب منها:

•**الحفاظ على الهوية الوطنية:** فخلال فترة حكمه حرص الأمير عبد القادر على الحفاظ على الهوية الوطنية الجزائرية، وعدم السماح بالتأثير الفرنسي على الثقافة الجزائرية فعمل على المحافظة على اللغة العربية والدين الإسلامي، وكل مايرتبط بالهوية الوطنية.

•**النشر العلمي:** أنشأ الأمير عبد القادر عددا من المدارس والمدارس العلمية في مختلف أنحاء القطر الجزائري، بهدف نشر العلم والثقافة العربية الإسلامية، ويعتبر هذا النشاط العلمي جزءا من المقاومة الثقافية ضد الاستعمار الفرنسي الذي كان يهدف لطمس الثقافة الجزائرية وفرض الثقافة الفرنسية.

•**النشر الأدبي:** كان الأمير عبد القادر شاعرا ومفكرا بارزا، كتب العديد من الأشعار والكتب التي تناولت قضايا الوطنية والحرية والاستقلال وقد اعتبر هذا النشاط من أهم رموز المقاومة الثقافية التي انتهجها الأمير في تصديه للاستعمار الفرنسي، وقد ساهمت أعماله الأدبية في نشر الوعي والمسؤولية لدى الشعب الجزائري وكذا تدويل القضية الجزائرية.

•**الرعاية الفنية:** رعى الأمير عبد القادرالفنون الجزائرية وخاصة الموسيقى والرقص والفنون التشكيلية لاسيما مع تصاعد الاعتداءات الفرنسية على دور الثقافة والمراكز الفنية ومحاولة تغييب الفن الجزائري وإدخال الفن الاستعماري الفرنسي من رقص وموسيقى وفنون تشكيلية، وبذلك ساهم الامير عبد القادر في المحافظة على الإرث الفني الجزائري.

- أهم المعاهدات التي قام بها الأمير عبد القادر:

معاهدة دي ميشال(4 فيفري1934):

معاهدة دي ميشال هي معاهدة سلام وقعت 4 يوليو 1834بين الجنرال الفرنسي دي ميشال والأمير عيد القادر الجزائري، وجاء هذه المعاهدة نتيجة الضغط من طرف الأمير الذي أمر بمنع أي تعامل تجاري مع الغزاة الفرنسيين ، وكان لهذه المعاهدة أهمية كبيرة للطرفين فالجانب بالنسبة للجانب الجزائري كانت فرصة للأمير عبد القادر لاستكمال بناء دولته عسكريا، واقتصاديا، واجتماعيا، أما بالنسبة لفرنسا كانت هدنة استغلتها للتفرغ للقضاء على المقاومات الشعبية الأخرى، والبحث عن المناصرين للأمير عبد القادر.

أما عند البنود التي جاءت بها هذه المعاهدة فقد كانت كالتالي:

- اعتراف الجانب الفرنسي بإمارة الأمير عبد القادر على الغرب الجزائري باستثناء وهران، وأرزيو، ومستغانم.

- احترام الفرنسيين للعادات والتقاليد الجزائرية وكذا احترام الدين الإسلامي ومعالم الهوية الوطنية ووقف الحرب بين الطرفين الفرنسي والجزائري.

- إطلاق سراح السجناء و المعتقلين في سجون الفرنسيين وكذا الجزائريين، وتبادل العسكريين الفارين من الجانبين.

- منح الأوروبيين الراغبين في السفر داخل البلاد جواز سفر موقع من ممثلي الأمير ومصادق عليه من طرف القائد العام.

معاهدة التافنة(30 ماي1937):

هي معاهدة عقدت بالقرب من وادي تافنة وقعها الأمير عبد القادر مع السلطات الفرنسية بقيادة الجنرال بيجو وذلك بعدما تعرض هذا الأخير رفقة جيشه إلى خسائر مادية وبشرية فادحة جراء المقاومة الجزائرية بقيادة الأمير عبد القادر، أبرز مانصت عليه هذه المعاهدة هي الاعتراف بالدولة الجزائرية التي أسسها الأمير عبد القادر في المناطق الغربية والوسطى من البلاد، بمقابل أعترافه بسلطة الإمبراطورية

الفرنسية على إفريقيا، كما منحت هذه المعاهدة سلطات واسعة للأمير على عدة مناطق بما في ذلك السيطرة العسكرية والإدارية، لكن الجانب الفرنسي تفض هذه المعاهد ولم يلتزم ببنادها عندما أمر الملك لويس فيليب الأول باحتلال مدينة قسنطينة، الأمر الذي أشعل فتيل الحرب من جديد بين جيش الأمير عبد القادر وجيش الاحتلال الفرنسي، وأعلن بذلك الأمير الجهاد مرة أخرى في 15 أكتوبر 1839 في معركة متيجة.

تنظيم دولة الأمير عبد القادر:

– معالم دولة الأمير عبد القادر:

إن مصطلح الدولة في العالم العربي يكاد يكون مرادف لمفهوم السلطة، ومهمتها تكاد تقتصر على ممارسة هذه السلطة وتأمين الاحتفاظ بها(1)، والدولة نقيض الفوضى بما أنها جهاز تنظيمي لتدير شؤون مواطنيها وتسييرها، وهي نقيض للدولة التسلطيةالتي يستفرد من خلالها الحاكم بالتقرير والتنفيذ وتتمركز كل السلطات بيده من دون حسيب ولا رقيب، وهي نقيض للدولة التي يغيب فيها سمو الإرادة الشعبية حيث تكون مستعبدة لا سيدة.(2)

1/ حدود دولة الأمير:

كانت حدود دولة الأمير عبد القادر تتميز بعدم الاسقرار فتتسع في بعض الأحيان وتتقلص في بعضها الآخر، وقد حددت معاهدة دي ميشال المبرمة في 26 فيفري 1834 الأراضي التابعة لسيطرة الأمير عبد القادر حيث شملت مناطق وهران وكذا منطقة التيطري وهي منطقة المدية وما جاورها بمقابل أخذ الفرنسيين لمستغانم وأرزيو ومناطق من وهران والمرسى الكبير وسهل متيجة والجزائر وبجاية وعنابة.

أما معاهدة التافنة التي أبرمت سنة 1836 فقد أقرت بإعتراف الأمير عبد القادر على مناطق كانت قد سيطرت عليها فرنسا بما فيها الجزائر ومنطقة الشفة والقليعة وكذا ومناطق من وادي الشلف بمقابل إعتراف فرنسا بسيطرة الأمير عبد القادر على إقليم التيطري والمناطق الوهرانية.

2/ عواصم الدولة:

كانت مدينة **معسكر** أولى عواصم دولة الأمير عبد القادر حيث اختارها أن تكون مركزا للسلطة ومقرا لإقامته إلا أنها أحرقت سنة 1839 في معركة واد المقطع، وبعد سقوط مدينة معسكر اتخذ الأمير منطقة الزمالة عاصمة له وهي مدينة في الصحراء تمتد من تاقدمت إلى جبال العمور وتتمثل في مجموعة من الخيام يقطنها حوالي سبعين الف شخص وقد قسمها إلى ثلاثة أقسام: الزمالة وتضم عائلة الأمير وحاشته، والدوائر وتضم عامة الشعب من نساء وأطفال وتجار وصناع...أما المحلة فهي تمثل جيس الأمير ومحاربيه ومستودعات الذخيرة والأسلحة.

3/ التنظيم الإداري لدولة الأمير عبد القادر:

دولة الأمير عبد القادر التي تأسست في منتصف القرن التاسع عشر كانت تتمتع بنظام إداري متكامل يعكس رؤية الأمير في إدارة البلاد وتنظيم شؤونها ومن بين الجوانب الرئيسية للتنظيم الإداري:

-الحكومة المركزية

-الإدارة المحلية

-التعليم

-الاقتصاد

4/ التنظيم القضائي:

التنظيم القضائي لدولة الأمير عبد القادر كان جزءا أساسيا من إدارته حيث سعى إلى إنشاء نظام عدالة يعكس القيم الإسلامية ويعزز حقوق المواطنين، ومن أبرز ملامح هذا التنظيم:

-الهيكل القضائي: وتمثل في إنشاء المحاكم الشرعية وتعيين القضاة.

-الاجراءات القانونية: وتمثلت في السعي لتحقيق العدالة السريعة وإعطاء حق الدفاع للمتهمين.

-التوجه الإصلاحي.

-القوانين والتعليمات.

5/ التنظيم العسكري:

التنظيم العسكري لدولة الأمير عبد القادر كان من العوامل الرئيسية التي ساعدت في مقاومة الاستعمار الفرنسي ومن أهم مظاهر هذا التنظيم نجد:

- الهيكل التنظيمي:

-القيادة: كان الأمير عبد القادر هو القائد الأعلى للجيش ويتولى إدارة العمليات العسكرية.

-الرتب العسكرية: تم إنشاء نظام رتب عسكري يحدد الأدوار والمسؤوليات من القادة والجنود.

- التجنيد والتدريب:

-التجنيد: تم تجنيد الشباب من مختلف القبائل والمناطق حيث كان التجنيد يشمل جميع فئات المجتمع.

-التدريب: أقيمت معسكرات تدريب لتعليم الجنود فنون القتال واستخدام الأسلحة بالإضافة إلى التدريب على الانضباط العسكري.

- التجهيزات والأسلحة: حيث تم تجهيز الجيش بالأسلحة من مصادر مختلفة بما في ذلك الأسلحة التقليدية والأسلحة الحديثة.

- التنظيم اللوجستي: وقد تم إنشاء نظام لوجستي لتأمين الإمدادات الغذائية والذخائر .